سلسلة نُبَذ (٣٩)

عظات روحية

وأكون أنا فيهم

(يو١٧: ٢٦)

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى

٢٠٢٤م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٧

وأكون أنا فيهم*

وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ
(يو١٧: ٢٦)

هناك عبارات خفيفة مثل أن يكون الرب معنا أو في وسطنا.
كقول الرب: "هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت٢٨: ٢٠). أو قوله للص التائب: "الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو٢٣: ٤٣). أو قوله: "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ" (مت١٨: ٢٠) أو قول داود النبي: "جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ" (مز١٦: ٨).
كلها معانٍ بسيطة: الرب معنا، أمامنا، في وسطنا، عن يميننا... لكن ما معنى قوله: "عَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو١٧: ٢٦).

* مقال لقداسة البابا شنوده الثالث، نُشر في مجلة الكرازة، بتاريخ ٢٨يوليو ٢٠٠٠م.

✞ ما معنى يكون فينا؟

وإلى جوار (يو١٧: ٢٦) يقول للآب: "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ" (يو١٧: ٢٣) "لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا" (يو١٧: ٢١). ويقول أيضًا: "تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي وَأَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ" (يو١٤: ٢٠). ويقول بولس الرسول: "فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلا٢: ٢٠).

هل يكون فينا بالإيمان؟ كما يقول الرسول: "لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ" (غلا٣: ٢٧). أم يكون فينا بالحب؟ كقوله: "لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو١٧: ٢٦). أم أنه يكون فينا بالتوبة؟ كقوله: "هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ (باب قلوبكم) وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ٣: ٢٠). أم يكون فينا بالتناول؟ حسب قوله: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو٦: ٥٦).

المسيح يكون فينا، أي يكون في قلوبنا، في أفكارنا، في حياتنا على أني لا أريد أن أفكر في هذا الموضوع وحدي. فلنتأمل فيه

معًا. ولكن ما معنى الثبوت المتبادل الذي ذكره في (يو٦: ٥٦)؟

✞ الثبَات المتبادل

"يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو٦: ٥٦). من الجائز أنه يثبت فيك، ولكن أنت تتخلى عنه. فالمهم إذًا أن تثبت فيه. وقد أعطانا مثلًا بالغصـــن الذي يثبت في الكرمة، فيعطي ثمرًا (يو١٥:٥، ٦). والغصن الذي لا يثبت فيه، يجف ويُطرَح خارجًا أو يُحرَق..

فما معنى الثبات فيه؟ وكيف نصل إلى ذلك؟

هل بالتناول فقط؟ إنه يقول عن الثبات: "اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَـــايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي" (يو١٥: ٩، ١٠). ويقول الرسول: "مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ، يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هَكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا" (١يو٢: ٦).

والثبات فيه يعني الثبات في الآب أيضًـــا، بل في الثالوث القدوس.

كما قال عنه وعن الآب: "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْـــنَعُ مَنْزِلًا" (يو١٤: ٢٣) كما قال عن

الروح القدس: "لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ" (يو١٤: ١٧).

إذًا هذا الشخص القديس يكون مسكنًا للثالوث القدوس...

وما دام الروح القدس هو روح الآب وروح الابن، وما دمنا "هياكل للروح القدس، وروح الله يسكن فينا" (١كو٣: ١٦) (١كو٦: ١٩)، إذًا المسيح يكون فينا بروحه القدوس.

وعبارة أكون فيهم تعني: **أكون فيهم بقوتي، وبنعمتي، وبروحي القدوس، وبعملي فيهم.**

✞ يكون فينا بروحه

حتى في العهد القديم قيل عن يوسف الصديق إنه: "رَجُلًا فِيهِ رُوحُ اللهِ" (تك٤١: ٣٨). ونحن في العهد الجديد يسكن فينا الروح القدس بمِسحة الميرون المقدسة التي ذكرها يوحنا الرسول في (١يو٢: ٢٠، ٢٧). وكان الروح القدس يأخذه المؤمنون في أول العصر الرسولي بوضع أيدي الرسل. كما حدث في السامرة (أع٨: ١٧) وفي أفسس (أع١٩: ٦).

قيل في القديم إن روح الله كان يحرك شمشون (قض١٣: ٢٥). كما كان يحرك الرسل أيضًا. فهل أنت أيضًا يحركك روح الله؟ يحركك نحو مشيئة الله. وتصير بذلك شريكًا للروح القدس، يعمل فيك وبك... أم أنت لا تدخل في شركة الروح القدس (٢كو١٣: ١٤). وإن عمل فيك روح الله، تُحزِن الروح، وتُطفئ الروح، وتقاوم الروح؟!

السيد المسيح يعمل فيك بروحه. ولأنه روح الحق (يو١٥: ٢٦)، لذلك فهو يرشدك إلى كل الحق (يو١٦: ٧) ويذكرك بكل ما قاله الرب (يو١٤: ٢٦). ويتكلم على لسانك (مت١٠: ٢٠). ويبكتك على خطية (يو١٦: ٨) وهو أيضًا يمنحك قوة، كما وعد الرب قائلًا: "لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا" (أع١: ٨). وفي الكهنوت يمنح الروح القدس سلطانًا لمغفرة الخطايا (يو٢٠: ٢٣). وما أكثر مواهب الروح القدس وعمله في المؤمنين "قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ" (١كو١٢: ١١).

فهل تشعر بالسيد المسيح، يعمل فيك بروحه القدوس؟ وهل تشترك في العمل معه وقد قال: "بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا

شَيْئًا" (يو١٥: ٥).

أم أنت تقف منفردًا، لا تشعر بالرب فيك، ولا بروحه؟! إنه كما يكون فيك بروحه، يكون فيك أيضًا بنعمته.

✞ يكون فينا بنعمته

أكثر من كان فيهم بنعمته السيدة العذراء، فكانت "ممتلئة نعمة" (لو١: ٢٨). والآباء الرسل كان فيهم أيضًا بنعمته. لذلك قيل عنهم: "وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ" (أع٤: ٣٣). والقديس بولس الرسول يقول: "وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلَكِنْ لاَ أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي" (١كو١٥: ١٠).

القديس بولس الرسول كان مريضًا، ويشكو من شوكة في الجسد. وقد تضرع إلى الله ثلاث مرات ليشفيه من تلك الشوكة. فأجابه "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي" (٢كو١٢: ٩). **وبهذه النعمة قد تعب في الخدمة أكثر من جميع الرسل.**

وقد قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس الأسقف: "فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا

ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (٢تي٢: ١). هذا الذي هو "مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يو١: ١٤). ونأخذ منه "نِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ" (يو١: ١٦). لأن "النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يو١: ١٧).

وهكذا نجد الآباء الرسل يهتمون بهذه النعمة التي في المسيح يسوع:

فنجد غالبية رسائل بولس الرسول تبدأ بعبارة "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (غلا١: ٣) (أف١: ٢) (في١: ٢) (كو١: ٢). (١تس١: ١) (٢تس١ :٢) (١كو١: ٣) (٢كو١: ٢). وكثيرًا ما تنتهي الرسائل بنفس العبارة تقريبًا: "نِعْمَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ" (١كو١٦: ٢٣) "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ" (غلا٦: ١٨). "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ" (في٤: ٢٣) (٢تس٣: ١٨).

وهذه النعمة نجدها في البركة الختامية لكل اجتماع (٢كو١٣: ١٤) فهل تشعر بنعمة الرب في حياتك، وفي خدمتك، وفي كل كلمة تلفظها؟ إذًا المسيح فيك بنعمته. وأيضًا:

✞ المسيح فينا بعمله

هذا الذي قيل عنه: "اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ" (في٢: ١٣).

مجرد إرادتك الطيبة في أن تعمل الخير، دليل على أن المسيح فيك. وكونك تعمل الخير، دليل على أنه فيك أيضًا. لأنه هو القائل: "بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يو١٥: ٥).

فإن كان الرب فيك يعمل لأجلك ولأجل ملكوته، فيجب عليك أن تعمل أنت أيضًا معه. كما قال القديس بولس عن نفسه وعن شريكه أبلوس: "نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ" (١كو٣: ٩).

كذلك قيل عن الآباء الرسل: "أَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلاَمَ بِالآيَاتِ" (مر١٦: ٢٠).

وعمل الرب فيك، يعني أيضًا عمل روحه القدس فيك.

كما قيل: "وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (١كو١٢: ٦). "هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ" (١كو١٢: ١١).

وقد قال بولس الرسول في رسالته إلى أهل كولوسي عن عمله

في الخدمة: "... لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ" (كو١: ٢٨، ٢٩). إذًا جهاده هو حسب عمل المسيح فيه بقوة.

هو فيك، ويعمل. المهم أنك لا تُعَطل عمله، بل تعمل معه.

نعم، لا تعطل عمله فيك بإرادتك الخاطئة، وبشهوات العالم التي فيك التي تشتهي الظلام. استمع إذًا إلى تلك العبارة الجميلة في إنجيل يوحنا: "وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ" (يو٣: ٢١).

ما أعجب هذه العبارة: تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ!

ولكي تكون أعمالك بالله معمولة، ادخل معه في حياة التسليم، مثل قطعة الطين التي تُسلِم ذاتها في يديّ الفخاري العظيم، يعمل بها كما يشاء. وبحكمته سيجعلها آنية للكرامة (رو٩: ٢١). كما قيل عن يوسف الصديق إن: "الرَّبَّ مَعَهُ وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ" (تك٣٩: ٣، ٢٣).

حقًا إن الرب يمكنه أن يعمل فينا أعمالًا عظيمة كما في

المزمور: "عَظَّمَ الرَّبُّ الصَّـــنيعَ مَعَنا فَصِـــرْنا فَرِحينَ" (مز١٢٦: ٣). **هل أنت إذًا تعمل وحدك؟ أم الله هو الذي يعمل فيك؟**

وما دمت بدونه لا تقدر أن تعمل شـــيئًا (يو١٥: ٥)، إذًا كل أعمـال الخير التي تعملهـا، هي بـالله معمولـة. هو فيـك يعمـل الكل، لأجل المسرة.

الله يعمل الكل فيك، ولكن يعمل الكل بك، ومعك.

فلا تفتخر كأنك أنت الذي عملت الكلّ! متناســـيًا أو متجاهلًا عمل الله، كأن الله ليس فيك! وكأنه لا يعمل فيك! وكأنك لم تقرأ قول المزمور: "إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ البَيْتَ، فَبـاطِلًا تَعَـبُ البَنّـاؤُونَ" (مز١٢٧: ١).

حقًا، إن الله يعمل فيك، يعمل بنعمته، ويعمل بروحه القدوس. ويعمل بقوة، بقدر حياة التسليم التي تحياها.

وإن كان الله فيك، يعمل بك ومعك. وإن كنت تقول مع الرسـول: "أَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِـــيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلا٢: ٢٠)، فماذا تكون النتيجة؟

✞ ما هي علامات حياة المسيح فيك؟

أول علامة: أن تكون لك الحياة الحقيقية، كقول الرسول: "لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ " (في١: ٢١).

نعم، لأن الكتاب قال عنه: "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو١: ٤). وهو قال عن نفسه: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو١٤: ٦). وقال: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو١١: ٢٥). إن كان المسيح فيك، فأنت حي. وإلا، فأنت ميت.

كما قيل: "أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيِّتٌ" (رؤ٣: ١).

لننظر إذًا إلى أنفسنا ونسأل: أحقًا نحن أحياء؟!

وإن كنت حيًا بحياة المسيح فيك، فحينئذ يكون لك المشيئة الإلهية، ويكون لك فكر المسيح، كما قال الرسول: "وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ" (١كو٢: ١٦).

فكرك الخاص إذًا، اطرحه خارجًا، واسأل نفسك عن كل فكر يجول بذهنك: هل فكري هذا هو فكر المسيح؟

فلنحرص إذًا أن تكون أفكارنا مقدسة تليق بمن يحيا المسيح فيهم. وماذا إذًا عن كونه فينا؟

المسيح هو النور الحقيقي (يو١: ٩). إن كان فيك تكون منيرًا. فقد قيل عن "الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً" إنهم "ذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ

وَصَـارُوا شُـرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّـالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي" (عب٦: ٤، ٥). ولكن – بعد هذه الاســـتنارة – احذر أن تسقط وتحب الظلمة أكثر من النور (يو٣: ١٩).

الله نور، ونحن أبناؤه. لذلك تسمينا الكنيسة "أبناء النور". وتقول لنا "قوموا يا بني النور، لنسبح رب القوات"....

ما دام النور فيك، فهل أفكارك نيِّرَة؟ وهل كلماتك نيِّرَة.

إن كان النور فيك، لا تشـــترك في أعمال الظلمة (أف٥: ١١). لأنه لا شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ (٢كو٦: ١٤).

وإن كان الرب فيك، فهل وأنت ثابت فيه كالغصن في الكرمة: إذًا تســـري فيك عصـــارة الكرمة، ويكون لك الغذاء الروحي باستمرار.

هذا الذي إذا انقطع عنك، تنقطع عنك الحياة، وتجف وتُطرح خارجًا (يو١٥: ٦). بل بثباتك في الكرمة، تصـــبح باســـتمرار عضوًا في جسد المسيح، إن تألمت تتألم معك باقي الأعضاء.

وإن كنت ثابتًا كالغصن في الكرمة، تعود لك صورتك الإلهية.

✝ وإن كان المسيح فيك، تكون لك القوة، لأنه مصدرها.

لك القوة والمجد (رؤ٥: ١٢) كما نسبحه في أيام البصخة المقدسة. وكما نقول له في ختام الصلاة الربية (مت٦: ١٣).

فإن كان المسيح فينا، نكون أقوياء، لا نضعف أمام أية خطية، ولا تنتصر علينا الأرواح الشريرة. أما إن ضعفنا أمام الشيطان وجنوده، فهذا اعتراف عملي منا أن المسيح ليس فينا! وأننا لسنا فيه...

وإن كان الله فينا، تكون فينا المحبة.

لأن "اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (١يو٤: ١٦). وبهذه المحبة يُطرح الخوف إلى خارج (١يو٤: ١٨).

هذه علامة سكنَى الله فيك، أن يسكن فيك الحب نحو الله ونحو الناس. تحب الله من كل قلبك، وتحب قريبك كنفسك (مت٢٢: ٣٧-٣٩). وعبارة أنا أكون فيهم تعني أيضًا أن يكون الحب فيهم (يو١٧: ٢٦). لأنه كما يقول الرسول: "مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟" (١يو٤: ٢٠). والذي فيه المسيح، يكون فيه البر.

وكما يقول الرسول: "إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَارٌّ هُوَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ

يَصْنَعُ الْبِرَّ مَوْلُودٌ مِنْهُ" (١يو٢: ٢٩).

إذًا عبارة "المسـيح يحيا فينا ونحن فيه" لها مدلولاتها العملية. لا نحفظها نظريًا كمجرد آية من الكتاب، إنما نحياها.